المصدر: الدستور
التاريخ : ١٩٩٧/١١/١٩

أنور السادات بقلم جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب القائمقام أنور السادات، وسألت نفسي عما دفعني لهذا الإعجاب به، فجاءني الرد المنطقي فورا، إنه مضمونه المتحلي بسلامة الأسلوب، وقوة التعبير، وطابع البساطة في سرد الحوادث، وعرض المواقف، في الوقت الذي أرى فيه الكاتب قد تجنب الحديث عن نفسه، فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبرى، بل قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التي مرت تحت بصره وسمعه، فجاء كتابه مجموعة لصور حية، جمعتها ريشة رسام ماهر، وصورتها في صورة واحدة، أبرزت من مجموعها حقائق وأسانيد، تتيح لنا دراسة أحوال مصر المعاصرة عن كثب.

إن شخصية أنور السادات لجديرة بالإعجاب، خليقة بالإطراء، فعبقريته العسكرية الممتازة، وشجاعته ورباطة جأشه، وإخلاصه وتفانيه في خدمة المثل العليا إلى جانب قوة إرادته وتنزهه عن الغرض، ورقة عواطفه وميله الغريزي للعدالة والإنصاف، كل هذه الصفات جعلته أهلا للقيام بدور مهم في التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والسير بها قدما في سبيل النجاح.

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا في جميع أدوار حياته، كما أحسن استخدامها في خدمة القضية الوطنية، فنجده قد سجن في شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأمر العدو المستعمر، ثم أعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشاطه الوطني، ولكم تحمل من ألوان الحرمان والتعذيب، فلم تهن عزيمته، ولم تتزعزع عقيدته، ولا ولم يفت ذلك في عضده، بل ازداد رسوخا وإيمانا، ولا غرو، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، فكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير، والتفكير مليا، حتى رجع بتمعنه وتأملاته إلى آلاف السنين الخوالي، وطالع ما صدر خلالها من مطامع العالم التي شخصت وتجمعت حول هذا البلد الطاهر، فظل الشعب المصري الأبي الكريم رازحا تحت نير الاستعباد ردحا طويلا من الزمان، متخلفا بذلك عن تقدم سائر البلدان، فما كاد يفر من معتقله، حتى صار رمزا حيا للمطالبة بالحرية، ومعبرا صادقا للشعور الجامح الذي سرى في شعب وادي النيل أجمع، من البحر الأبيض المتوسط حتى أعالي خط الاستواء، مطالبا بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان ها هو ذا يكافح بهمة لا تعرف الكلل في سبيل المثل العليا، في الوقت الذي نرى فيه الجموع العالمية، تطالب أيضا بتحقيق العدالة الاجتماعية، ولا جدوى في إنكار مطالبها.

لقد عمل الضباط الأحرار جاهدين، من أجل إذكاء الحماسة فى القلوب التى ابتأست، وإشعال الجذوة فى النفوس التى اتقدت، حتى يستطيع الشعب الكريم، مجابهة أعدائه

كان النظام الملكى الرجعى المنوط بأسرة أجنبية، حائلا دون تقدم البلاد، فكان أول لزام على الثورة، أن تهدمه تماما وتقضى عليه، لتفسح الطريق أمام نهضة البلاد، ثم أصبح لزاما عليها بعد ذلك أن تقتلع جذور الفساد والمحسوبية والرشوة والرجعية والحزبية المغرضة البغيضة، حتى تطهر البلاد من الأدران، وأخيرا وليس أخرا كان لزاما على الثورة أن تعبئ

الشعور العام، وتدرب الجموع المتكتلة الحاقدة على عدوها الغاصب لمجابهة ذلك العدو بكل ثقة واطمئنان وقد كان

وكم من مرة تأرجحت سفينة الثورة، فى ذلك اليم المتلاطم الأمواج، إذ لم يكن من اليسير مقاومة قوى الانحلال الهدامة، وما إليها من تقاعس وتهاون وخيانة كان الكفاح طويلا مريرا، ولكن المثابرة لم تذهب سدى، فظلت السفينة ثابتة عاتية تتكسر الأمواج على دروعها القوية الواحدة تلو الأخرى، ومضت السفينة تشق طريقها قدما، فقامت مصر الحديثة، مصر الجمهورية الفتية

والآن، وقد استرد الشعب عزته، واستعاد حريته، وأصبح يشعر بكرامته، ويدرك حق الإدراك مصالحه العليا، المؤسسة على التحرر من الاستعمار والمساواة المدنية والسياسية، نجد أن الفوارق الاجتماعية التى كانت شاسعة البين، قد انهارت مفسحة الطريق أمام القيم الأخلاقية التى تقدمتها، وقد تضافرت فيها الجهود، وتوجهت بعزيمة لا تعرف الكلل إلى الأعمال النافعة الإنشائية، فالشعار الصريح الواضح لعهدنا الجديد هو التعاون التام للعمل والإنتاج

لقد تسلمت الثورة القيم الوطنية وديعة بين يديها، وستسير بالشعب المصرى قدما، فى طريق الإنشاء والتعمير، المحاط بجو الهدوء والاستقرار، وستتقدم بالأمة فى سبيل الرقى والازدهار

شاهدت مصر فى خلال السنوات العشرين الأخيرة، أحداثا بدت لأول وهلة، منشعبة الأطراف، متعذرة الفهم والإدراك، فإذا ما حققنا النظر فيها عن كثب، راعنا ما فيها من خيوط مرتبطة بعضها ببعض، تقودنا لنتيجة واضحة، فروح السخط التى سادت الجيش من جراء فساد الحكم، والتألم المرير الذى شعر به المصريون إثر احتلال أرض الوطن وعزوف المسئولين عن إجراء إصلاحات أساسية واجبة، وحرب فلسطين، إلى غير ذلك فإذا ما اقتفينا أثر هذه الخيوط تكشف أمامنا منطق واضح سليم، أدى بنا للنتيجة الحتمية التى حدثت وجعلت ما كان يبدو غامضا فى بادئ الأمر، واضحا جليا فى نهايته

لقد حلل المؤلف فى كتابه الشخصيات والأحداث تحليلا دقيقا، مما جعل الكتاب مرجعا قيما يعتد به، حاولت جاهدا أن أوضح مضمونه وأن ألخص فصوله المتعددة، فلم أجد خيرا من هذه الجملة المختصرة «هذا الكتاب ولا شك خلاصة البواعث الخفية، والأسباب السيكلوجية، لثورتنا السلمية».

وقف الكتاب قرب منتصف عام ١٩٥٢، سنة التحرير والبعث، التى سجلت أحداثا خطيرة لبلادنا، إذا ما استعدنا ذكراها، لرأينا عهدا بائدا تغرب شمسه، وعهدا جديدا ناهضا تشرق أنواره.

شكرا للمؤلف فقد أتاح لنا أن نرى فى الحاضر المزدهر الخصيب ما يبشر بالمستقبل الباسم الزاهر

■ **المقدمة التى كتبها جمال عبد الناصر لكتاب «صفحات مجهولة من تاريخ الثورة» لأنور السادات**